



الصين ، لماذا لا تكون قاطرة الاقتصاد المصري ؟

بقلم: رائف محمد الويشي

30 مايو 2012

من الكلام الهام والخطير التي سمعناه بعد ثورة 25 يناير هو ما صدر من الرئيس السوداني عمر البشير ، فقد قال أن حسنى مبارك قال له يوما أنه تعرض لضغوط وتهديدات من أمريكا لو تعاون اقتصاديا مع السودان ..

نستطيع أن نتفهم تلك التهديدات والضغوط التي فرضتها أمريكا على حسنى مبارك ، ودفع ثمنها الشعب المصري ، فالحكم كان فرديا وبامتياز ، وساعدته أمريكا – بل فتحت شهيته – لنهب المال العام ، وفرض العداوة بينه وبين شعبه ، بدفعه لارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان وقامت بتغطيته سياسيا في المحافل الدولية ، لمحاصرته وإحكام السيطرة عليه ، وهو استجاب لكل الضغوط في سبيل تحقيق ملفاته الخاصة ، خاصة في السنوات العشر الأخيرة التي برز فيها وبوضوح ملف التوريث ..

نحن هنا لا نلوم أمريكا في اللعب بأوراقها بما يحقق الأهداف الكاملة لسياستها ، فكما أن برنامج التنمية في كوريا الجنوبية وتقوية اقتصادها كان برعاية أمريكية لخدمة المصالح الإستراتيجية الأمريكية بهدف إدخال الرعب إلى الشيوعيين في موسكو وبيونج يانج ، فإن برنامج التنمية في مصر الذي تولته أمريكا في منتصف السبعينات كان يهدف إلى إضعاف اقتصاد مصر لأن ذلك يخدم وفي الصميم كل المصالح الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة ..

إن بناء اقتصاد قوى في مصر يعنى أن القرار المصري سيخرج من القاهرة ، وليس من العواصم التي تقدم المساعدات الاقتصادية لإطعام الجوعى وتوظيفهم ، وهذا ما لا ترضاه أمريكا لنا ، ومن قبلها كانت بريطانيا ..

من الملاحظ أن المصريين - شعبا وقيادة - قد تكونت لديهم خبرة متراكمة في العقد الذي أعقب ثورة 23 يوليو ، وشاهدنا أو قرأنا كيف تعرضت مصر لضغوط مالية واقتصادية وحتى عسكرية وصلت إلى حد ضربها في تحالف دولي الثلاثي ، ولما فشلت تلك المحاولات جاء عدوان 67 لفرضه ، وفشل العدوان في تحقيق أهدافه لأن قائد الثورة بني الجيش في فترة لم تأخذ حقا من الدراسة والتحليل في المعاهد العسكرية ، وهنا كان لابد من إزاحته بشخص يقبل التبعية ..

من هنا فإنني لا أبالغ حين أقول أن مصر في الأربعة عقود الماضية كانت مسرحا لعمليات نهب وتدمير منظمين على يد قادتها ، وقد ساعدت أمريكا على هذا النهب وهذا التدمير ، لأنه – كما قلنا – يخدم في النهاية مصالحها الإستراتيجية في المنطقة ..

من المفروض – بل من الواجب – أن تكون ثورة 25 يناير قد أزاحت تلك التبعية المهينة التي فرضتها أمريكا على القرار المصري ، فلا يوجد والحمد لله أي نية لفساد أو لتوريث في عقل القيادة المصرية الجديدة ، ونظن أنها رشيدة مائة بالمائة ، وإن اختلفت البرامج التطبيقية والمفاهيم بين الناس ..

في المقابل ، فالعالمون بحجم الكارثة التي عليها مصر الآن لا يتوقعون ربيعا زاهرا على المصريين في الوقت القصير ، فعملية التدمير والنهب يتم تحقيقهما في فترة محدودة ، بينما عملية البناء تأخذ وقتا يكون أطول ، تبعا لما تم هدمه ..

من المهم هنا أن تضع القيادة المصرية الجديدة أمام عينيها شيئين لا يغيبان عنها على مدار الساعة ، وهما :

1- لا يجب أن يلدغ المؤمن من جحر مرتين ..

2- لا تفرعوا الباب الأمريكي في طلب مساعدات ، ولا تصدقوهم إذا قالوا لكم : آسفين ، سنبدأ صفحة جديدة ، فكل مساعداتهم ملغمة ..

ليس معنى هذا الكلام هو رفض المساعدات الأمريكية الناتجة من الاتفاقيات التي تم توقيعها ، وليس معناه أيضا أن نرفض المساعدات الأمريكية الغير مشروطة ، وإن كنت على ثقة بأن العقلية الأمريكية لا تقدم أبدا مساعدات غير مشروطة ، فعلينا الحذر ، والتفتيش في كل الأوراق والاتفاقيات عندما تقدم أي مساعدة منهم هو واجب يخص صميم أمن مصر القومي..

**تبقى الكارثة في مكانها ، وتحمل الكثير من الأسئلة التي تصرخ أحيانا ، وتنوح أحيانا أخرى لإيجاد الحلول لها :**

- توجد أزمة طاحنة في الغذاء داخل مصر ، والجوع كافر كما يقولون ..
- توجد أزمة وظائف ، وهي أزمة طفحت منذ زمن ، ومات بسببها آلاف الشباب في المتوسط ..
- توجد أزمة تعليم متعددة المحطات ، سواء في المنشآت ، أو في الكوادر ، أو الخريجين الغير مؤهل ..
- توجد أزمة صحة ناتجة عن الأمراض التي ظهرت في العقود الماضية ، وهي في أغلبها أمراض تتحمل مسؤوليتها القيادة السياسية ..
- توجد أزمة اجتماعية متعددة المحطات ، سواء في حجم الجريمة ، أو في مستوى الطلاق والعنوسة ، أو التطرف الديني ، ولكن العمل في حل الأزمات السابقة سيقبل تدريجيا من تلك الأزمة الاجتماعية ، لأنها تكونت مما سبق من أزمات ..
- توجد أزمة عسكرية لا يعلمها الناس ، والقيادتان السياسية والعسكرية على علم تام بها ، فالهوة بيننا وبين إسرائيل تدعو لليأس ، لكن ليس أمامنا غير مواصلة ردمها ، ما دام هناك دم يجري في عروق هذا الشعب .. وإذا أردنا التشبيه للقارئ العادي بين الفريقين دون الخوض في التفاصيل ، فإننا نستطيع أن نقول أن الفارق بين الجيشين يشبه الفارق بين فريق ريال مدريد الإسباني وآخر من الدرجة الثانية أو الثالثة في الدوري المصري..

**توجد في العالم دول صاعدة وقوية وصاحبة تجارب ناجحة في التنمية ، وهم يرحبون بالتعاون معنا بإخلاص لتحقيق مصالح مشتركة للطرفين ، دون إملاءات ، ودون فرض شروط ، ودون نوايا سيئة تختبئ وراء الابتسامات الدبلوماسية الخادعة ، وفي مقدمة تلك الدول توجد الصين أولا ، والهند تانيا ..**

هذه الدول مرت بنفس الطريق الذي ما زلنا فيه ، فهي عرفت معنى الجوع وتغلبت عليه بعد أن تألمت منه بشدة ، وعرفت كيف تجد وظائف لسكانها الذين يزيدون عن سكان مصر بأكثر من 15 مرة ، وتحتل جامعاتها التعليمية أماكن في أفضل خمسين جامعة عالمية ، وجيوشها تعد من أفضل عشرة جيوش في العالم ، وفوق ذلك كله يملكون نوايا طيبة ومخلصة معنا ، ولعن الله من أغلق باب التعاون بين مصر والهند وأهان رئيس وزرائها راجيف غاندى عندما جاء لزيارة مصر في ثمانينات القرن الماضي ، وتطبيق نفس اللعنة على من خفض التعاون المصري الصيني ..

**المؤسف أن إسرائيل تنبعت للفراغ الذي خلى بخروج مصر مع هاتين الدولتين ، فاحتلته على الفور ، وزادت كثيرا من مساحته إلى قطاعات إستراتيجية عديدة ، أهمها التصنيع العسكري المشترك ..**

**لو أخذنا الصين كحالة للبحث في مقالنا ، سنجد أن هناك أربع قيادات صينية تولت زمام الأمور منذ نجاح ثورتها في عام 1949 ، وسنجد أن كل قيادة منهم أضافت شيئا بديعا للصورة العامة ليستفيد المواطن والوطن به ، وهذه القيادات هي ما يلي :**

**أولا : ماو تسي تونج ( 1949 – 1976 ) :** تولى هذا الرجل قيادة في إنجاح ثورتها ، وانتهج نهجا شيوعيا مستقلا عن النهج السوفيتي ، وأسس بصبر البنية التحتية كي تقف الصين على قدميها ، كانت هناك بعض الإخفاقات ، يعود بعضها إلى الإصرار على الاعتماد الذاتي في النجاح ، ويعود بعضها الآخر إلى حالة التوتر الدولية وظروف الحرب الباردة التي كانت في أوجها خلال فترة حكمه تلك ، لكن على الجانب الآخر كان للزعيم ماو الكثير من النجاحات ، خاصة في القطاعات التعليمية والصحية والصناعية والزراعية ، وقد رحل في عام 1976 عن عمر يبلغ 83 عاما ..

**ثانياً : دينغ تشاو بينغ ( 1978 – 1992 ) :** تولى قيادة الصين بعد سنتين من موت ماوتسى تونج ، وقد اعتمد نهجا مختلفا عن نهج ماو ، لم يسبه ولم يهدم أفعاله كما نفعل في بلادنا ، بل رأى أن الظروف والمشاكل التي تواجهها الصين تتطلب الخروج خارجها والاستفادة من دول العالم ، فأدخل سياسة السوق في العديد من المشاريع الاقتصادية التي تتطلب ذلك وحقق نتائج باهرة ، وتخلص من الشركات الخاسرة ، كما أرسل البعثات إلى الدول الكبرى كي تنقل تجارب الدول الناجحة ، وعاد هؤلاء التقنوقراطيون بتعليمهم الحديث في أرقى المعاهد التعليمية ، وهم الآن من يقود الصين الحديثة ذات السياسات المتعددة ( شيوعي ، اشتراكي ، رأسمالي ) .. وتخلّى عن السلطة في عام 1992 ليترك المجال لغيره ، ورحل في عام 1997 عن عمر يبلغ 93 عاما ..

**ثالثاً : جيانغ زيمين ( 1993 – 2003 ) :** كان النجاح الكبير التي حققتها سياسة الزعيم دينغ كفيل بإجبار كل من يخلفه على إتباع نفس الطريق الذي سلكه ، على ذلك نستطيع القول أن الزعيم جيانغ قد رسّخ سياسة الزعيم دينغ ، وزاد من قوتها ومثابرتها .. والزعيم جيانغ من مواليد 1926 ومازال على قيد الحياة ..

**رابعاً: جين تاو ( 2003 – حتى الآن ) :** يعتبر الزعيم جين من رجال التقنوقراط وأصحاب البعثات التي أرسلها الزعيم دينغ إلى الخارج ليدرسوا تجارب الدول الناجحة ، وقد ذهب إلى الولايات المتحدة في ثمانينات القرن الماضي ليثقل خبرته الهندسية ، وهو من مواليد عام 1942 ..

**مما لا شك فيه أن هؤلاء الزعماء الأربعة قد نقلوا الصين من دولة جائعة إلى دولة هي الأولى زراعيًا ، ومن دولة ضعيفة ومهزومة من جيرانها الأقل منها لمستوى الإذلال إلى دولة يحسب لها عدو الأمم ألف حساب ، بل يرتعد من غضبها ..**

**\* أنظر إلى الزراعة في الصين منذ مائة سنة ،** ستجد أنها كانت تعرف ببلاد المجاعات ، لكنها منذ العام 1978 طبقت إصلاحات زراعية رشيدة ، وتحل الآن بفضل تلك الإصلاحات المرتبة الأولى عالميا في الإنتاج الزراعي في كثير من المحاصيل ، ويضم هذا القطاع 65 % من إجمالي القطاعات الإنتاجية ( 720 مليون فلاح ) ، ومن الممكن أن يمتص هذا القطاع في مصر عدة ملايين من الأيدي العاملة ، خاصة أن لدينا أراضى بكر في عدة مناطق منها سيناء والساحل الشمالي ، ومن المعلوم أن حجم القطاع الزراعي في مصر يبلغ 13.5 % فقط ..  
توجد وفرة غذائية في الصين ، رغم أن كمية المياه عندهم مع عدد السكان ( 1100 مليار متر مكعب ) تتساوى تقريبا مع كمية المياه في مصر مع عدد السكان ( 72 مليار متر مكعب ) ..

**( لمزيد من المعلومات في هذا الشأن ننوه إلى مقال بعنوان " الملف الزراعي لمصر في عهد مبارك " ضمن دراسة من تسع مقالات لكاتب المقال على مدونته ) ..**

**\* أنظر إلى الإنتاج السمكي في الصين ،** سترى أن الصين تحتل المرتبة الأولى عالميا في هذا القطاع ، ومن الممكن أن ننقل تلك التجربة الرائدة إلى مصر لحل مشكلتيّ الغذاء وقلة فرص العمل ، خاصة أن مصر تتمتع بسواحل طويلة ..

**\* أنظر إلى التقدم الصناعي في الصين ،** لا توجد دولة في العالم وإلا ومنازل مواطنيها تحتوى على منتجات صينية الصنع بأكثر مما هو متواجد بها من المنتجات الوطنية ، فمادما يفعل العالم لو توقف الصينيون عن الإبداع في تقديم صناعات جيدة وتتناسب في سعرها مع كل المستويات الاجتماعية؟! .. هنا في أمريكا أجد - على سبيل المثال - أن أغلب أجهزة الكمبيوتر من الصناعات الصينية ، وهي ممتازة وتنافس أقوى الشركات الأمريكية ..

**\* أنظر إلى الاقتصاد الصيني** ستجد أنه يحتل الآن المرتبة الثانية عالميا بعد الولايات المتحدة ، فقد أن تراجع الاقتصاد الياباني إلى المرتبة الثالثة منذ عام 2010 ..

أما عن المستقبل ، فقد قال تقرير صادر من قسم الأبحاث الدولية التابع لبنك HSBC في 25 يناير 2012 أن الصين ستحتل المرتبة الأولى في أكبر اقتصاديات العالم خلال الأربعين سنة الماضية ، وأن الاقتصاد الأمريكي سيتراجع إلى المرتبة الثانية ،

لكن المفاجأة الثانية هي أن الاقتصاد الهندي سيحتل المرتبة الثالثة ..

**\* انظر إلى التعليم في الصين ،** ستجد أن مؤسسة المسح الدولية للتعليم العالي QS قد حددت أربع جامعات صينية ضمن أول خمسين جامعة في العالم في عام 2010 ، وستجد أن أفضل جامعة في آسيا هي جامعة هونج كونج التي تفوقت على مثيلاتها اليابانية حيث احتلت المرتبة 23 ، بينما احتلت جامعة بكين المرتبة 47 عالميا ..

( لمزيد من المعلومات في هذا الشأن ننوه إلى مقال بعنوان " ملف التعليم في عهد مبارك " ضمن دراسة من تسع مقالات لكاتب المقال على مدونته ) ..

**\* أنظر على التكنولوجيا المتطورة في الصين ،** ستجد أن الصين قد أطلقت أقمارها الصناعية نحو القمر منذ العام 2008 ، كما أن الهند التي كنا نتفوق عليها فعلت نفس الشيء أيضا ..

**\* أنظر إلى الجيش الصيني ،** ستجد أن الجيش المصري في حاجة ماسة إلى التعاون معه لعقد صفقات فورية ، كي يبدأ على الفور في العمل على ردم الهوة التي بيته وبين الجيش الإسرائيلي ..

دخلت الصين أيضا مجال التكنولوجيا العسكرية فائقة التقدم ، فمقاتلة الجيل الخامس J-20 هي منافس حقيقي لمثيلاتها من المقاتلة الأمريكية ( F-35 ) ، والروسية ( SU-35 ) ، وقد دخلت J-20 تجارب الطيران في عام 2011 ، ومن المخطط أن تدخل الخدمة في عام 2017 ..

لا أذيع سرا إذا قلت أن الصين هي الدولة الوحيدة في العالم التي تستطيع أن تساعد مصر في تأمين حاجات مصر الدفاعية ، ومن يعتقد بغير ذلك فهو يهدر مالا مصريا يحتاجه الجائعون في شوارع مصر ..

**مصر في حاجة فورية إلى صاروخ دفاع جوى طويل المدى فعال ،** ليتعامل مع طائرات الجيل الخامس التي تملكها إسرائيل ، هناك صاروخان يستطيعان التعامل مع التفوق الجوى الإسرائيلي الذي حوّل طائراتنا إلى حديد خرده :

**الصاروخ الأول :** الصاروخ الروسي S300 ، دخل الخدمة في منتصف ثمانينات القرن الماضي ، يستطيع التعامل مع طائرات إسرائيل فائقة التقدم على بعد 150 كم بارتفاع 30 كم ، وهو صاروخ ممتاز ونجح في كل المعارض العسكرية المتخصصة ، وأثبت نجاحا يفوق الباتريوت ( النسخة الأمريكية ) ..

**الصاروخ الثاني :** الصاروخ الروسي S400 ، دخل الخدمة في عام 2007 ، يستخدم الآن في حماية مقاطعة موسكو ، هو أفضل من سابقه بثلاث مرات ، بمعنى أنه يستطيع التعامل مع طائرات إسرائيل فائقة التقدم على بعد 450 كم بارتفاع 30 كم ( أي أن البطارية منه = 3 بطاريات من S300 ) ..

الشيء الهام هنا هو أن الصين تنتج كلا من هذين الصاروخين ( HQ-9 الصيني يعادل S300 الروسي وأنتجت النسخة الصينية في عام 1993 ، بينما HQ-19 الصيني يعادل الروسي S400 وأنتجت النسخة الصينية في عام 2009 ) ، والأكثر أهمية أن هذين الصاروخين الدفاعيين لا يتناقضان مع الاتفاقية التي وقعتها مصر مع إسرائيل ..

وجدير بالذكر أن روسيا على وشك الانتهاء من الصاروخ الدفاع جوى الجديد S500 ، ومن المفترض أن يغطي هذا الصاروخ مساحة قدرها 600 كم ..

( لمزيد من المعلومات في هذا الشأن ننوه إلى دراسة من حلقين بعنوان : " معركة لطم الخدود ، ضرب مصر بأسلحة الجيل السادس الإسرائيلية " لكاتب المقال على مدونته ) ..

**مصر في حاجة فورية إلى صاروخ أرض أرض** يسبب توازن الرعب مع إسرائيل التي تمتلك أكثر من 300 رأس نووي ،

الحفاظ على السلام لا تحميه الأمنيات ، بل فقط القوة المادية ، سواء كانت اقتصادية أو عسكرية ، وأعتقد أن مصر لديها القدرة الذاتية على الوصول إلى إنتاج صاروخ أرض أرض لو توافر القرار من القيادة السياسية ..

( لمزيد من المعلومات في هذا الشأن ننوه إلى مقال بعنوان : " تفاصيل مؤامرة مبارك ضد المشير أبو غزالة " ، وإلى مقال آخر بعنوان " الصاروخ ، ذراع مصر المكسور " لكاتب المقال على مدونته ) ..

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره ، فهناك العديد من الأفكار التي يمكن أن يضعها المتخصصون في مصر من أجل تحقيق أقصى استفادة ممكنة للتعاون المشترك بين البلدين ، ومن هذه الأفكار ما يلي :

1- تقديم أفضل الدراسات الصينية للاستفادة من نهر النيل بين الدول التي يجرى في أراضيها ، فمن المعروف أن العطاء السنوي لماء النيل يبلغ 1660 مليار متر مكعب ، بينما تستفيد كل دول الحوض بما نسبته 6 % فقط ( 100 مليار متر مكعب ) ، فإذا عرفنا أن مصر تأخذ من تلك الكمية 50 مليار متر ، وأن السودان يأخذ منها 25 مليار متر ، فإن معنى ذلك أن جميع الدول الأخرى الواقعة على الحوض تشترك معا في ما نسبته 25 مليار متر مكعب ، أما الكمية الكبرى المتبقية ( 94 % ) فإنه يتم إهدارها ، إما بسبب التخلف التكنولوجي أو بسبب النزاعات بين تلك الدول ..

من حسن الطالع أن الصين تملك علاقات طيبة مع أغلب دول حوض النيل .. ومن المهم أن تدرك القيادة المصرية أن أساس النهضة المصرية الحديثة يعتمد على الزراعة لأنه يتناسب مع الظروف الحالية التي تعيشها مصر ، ومن هنا لا بد أن نولى للنيل أهمية قصوى في ذلك ، فهو نواة تلك النهضة ..

2- تعتبر الصين دولة مميزة في الكثير من الصناعات ، ولها خبرة عالمية بها ، ومن هذه الصناعات ما يلي :

- \* صناعة الحديد والصلب : مصر في حاجة ماسة لتطوير مصانعها في هذا القطاع بعد ما حل بها من نهب وتخريب ..
- \* صناعة الغزل والنسيج : يعتبر أقدام قطاع بالصين ، ومصر لديها خبرة جيدة به ، لكنها في حاجة إلى تحديث وتدريب ..
- \* الصناعات الكيماوية : وتستطيع مصر الاستفادة من الصين في هذا المجال الذي تفوقت فيه وحقق لها مكانة عالمية ..
- \* التصنيع الزراعي والغذائي : إذا رغبت مصر في تحقيق نهضتها من القطاع الزراعي فلا بد من جودة التصنيع به ..

3- توقيع الاتفاقيات المشتركة في الصناعات الإستراتيجية التي تهتم المواطن المصري ، مثل صناعات الدواء ، ومشاريع توليد الطاقة من الشمس ( الصحراء الغربية تحتوى على أعلى نسبة إشعاع شمسي في العالم ) ، ومشاريع القطارات الذي تفوقت فيه الصين ..

لقد كان الإتحاد السوفيتي هو قاطرة الاقتصاد المصري في أعقاب ثورة 23 يوليو ، وقد حققنا نتائج ممتازة من جراء ذلك لا ينكرها إلا الجاحدون أو الجاهلون ، ومن الممكن – طبقا للظروف الصعبة التي تعيشها مصر على كل المستويات – أن تكون الصين هي قاطرة الاقتصاد المصري بعد ثورة 25 يناير ، ولعقدين قادمين على الأقل ، وتستطيع مصر بما تملكه الآن من خبرات تحقيق قفزة اقتصادية أكبر من تلك التي تحققت من تعاونها مع الإتحاد السوفيتي ..

رائف محمد الويشي.

سانت لويس – ميزوري - أمريكا

[elwisheer@yahoo.com](mailto:elwisheer@yahoo.com)

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

[www.thowarmisr.com](http://www.thowarmisr.com)